

خفقان قلوب المحبين بميلاد النبي المصطفى الأمين ﷺ

الأستاذ المبروك زيد الخير
جامعة الأغواط

الحمد لله مرشد هذه الأمة لما اختار لها من الإسلام والإيمان شرعة ومنهاجا، معين من أراد به خيراً على فهم حقائق هذا الدين، حتى تمتاز بلحمه ودمه امتزاجاً، نحمده على نعمه التي لا تحصى، ومنه التي لا تنسى، وكيف يحصى البحر سياحاً، والقطر ثجاجاً، من يهدي الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلن نجد لدائه علاجاً.

ونصلي ونسلم على الرحمة، وينبوع الحكمة، الذي كان بحق آخر أذن استمعت لإرسال السماء لهدي الأرض، ولسان الصدق الذي بلغ عن الحق مراده من الخلق، والذي أرسله ربه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيداً^(١). وقد بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الله به

الغمة، فكان رحمة مهداة، ونعمة معطاة، وأصبح حبه إيماناً، واتباعه ديناً، والافتداء به نجاة، ورحم الله القائل:

يَا رَبِّ إِنَّ ذُنُوبِي فِي الْوَرَى عَظُمَتْ
وَلَيْسَ لِي عَمَلٌ فِي الْحَشْرِ يَنْجِيَنِي
وَقَدْ أَتَيْتُكَ بِالتَّوْحِيدِ يَصُحِّحْهُ

حسب النبي وهذا القدر يكفيني
أما بعد: فيا أحباب رسول الله ﷺ: إن الله خلق الإنسان في أكرم صورة، وأجمل خلقه، قال تعالى: ﴿بَيَّأْنَهَا الْإِنْسَانُ مَا عَرَفَكَ رَبِّكَ أَلْكَرِيمِ﴾ (١) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٢) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ (٣) الانفطار: ٦-٨.

والله هو الذي أنعم عليه ففضله على سائر المخلوقات، وقد أشار إلى ذلك في قوله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَرَى وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا

تَفْضِيلًا ﴿ الإسراء: ٧٠

وكان الوحي رفع للخساسة، ودفع للنفس الإنسانية إلى مقام عليّ، ومكان رضيّ، يكون به المرسل من البشر مصطبغاً بروحانية خاصة، ومصطنعاً على عين القدرة، فيعلو بذلك إلى مراقي الملائكة العابدة، وقد ألف العلامة الشيخ ابن الدين الأغواطي كتاباً أسماه: " التبر المنسبك في تفضيل الآدمي على الملك " وهو المعنى الذي ذهب إليه صاحب (الجوهرة) بقوله:

وأفضل الخلق على الإطلاق

نبينا فمّل عن الشقاق

والأنبياء يلونه في الفضل

وبعدهم ملائكت ذِي الفضل

والدليل على تلك الأفضلة أن خلق الإنسان بيديه، وأسجد له الملائكة فور نفخ الروح فيه، فقال: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ الحجر: ٢٩ وعلمه الأسماء كلها، وامتنح الملائكة في ذلك العرفان، فأقروا له بالفضل، وأرجعوا العلم لله وحده، ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ البقرة: ٣٢، وقد بقي الملائكة يستغفرون، لبني آدم على مدى الزمان، قال تعالى:

والتكريم الذي أوتيّه الإنسان هو تكريم شمولي يطال بشرية البشر، حيث أن الإنسان بعقله يعتبر أفضل مخلوقات الله على الإطلاق، وذلك بناءً على مبدأ التسخير الذي هياً للآدمي به أن ينتفع بالكون والكائنات من حوله، وأن يستثمر خيرها وعطاء الله فيها، وعليه فإن الإنسان يخطئ عندما يستصغر نفسه، أو يحتقر مواهبه لأنه بحق المخلوق الأفضل في هذه الدنيا، وصدق الشاعر حين يقول:

دواؤك فيك وما تشعر

وداؤك منك وما تبصر

وأنت الكتاب المبين الذي

بأحرفه يظهر المضمّر

وترعم أنك جرم صغير

وفيك انطوى العالم الأكبر

والخصوصية إنما تكون في الارتفاع بالبشرية إلى مقام أعلى، ومكانة أسمى، وذلك عن طريق الوحي المنزل، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ﴾ الشورى: ٥١

﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾
غافر: ٧.

وقد شاءت القدرة أن تصطفي من الملائكة بشرا ومن الناس، فكان التفضيل مرتكزا على الممازجة بين البشرية المفضلة، والنبوة الكاملة، التي تجعل المكلف بالإرسال يأتي إلى الناس بما لم يألفوا، ويقرع أسماعهم بما لم يعرفوا، دون أن يتبرأ من بشريته، رغم استغراب المشركين لذلك، حين قالوا متعجبين: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الظُّلُمَاءَ وَيَمْسُ فِي الْأَشْوَابِ﴾ الفرقان: ٧، فأجابهم المولى بالحجة البالغة، والآية الواضحة القاطعة: ﴿قُلْ لَوْ كُنَّا فِي الْأَرْضِ مَلَكًا يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ الإسراء: ٩٥.

وحينما احتدم الصراع بين النبي المصطفى عليه الصلاة والسلام، وبين مشركي مكة، كان يقول لهم: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ الإسراء: ٩٣، ويقول أيضا: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحِيدٌ﴾ الكهف: ١١٠.

فهو رسول يمثل مطلق العبودية لله في الطاعة والانسياق، وفي الأداء والتبليغ، لأنه جاء الحياة ليعطي لا ليأخذ، وليرشد البشرية إلى سواء الصراط، بحجة باهرة، ومعجزة ظاهرة، وآية للعقول قاهرة، وصدق القائل:

تبدى مولد الهادي وعمت
بشاره البوادي والقصابا
وأهدت للبرية بنت وهب
يداً بيضاء طوعت الرقابا
فقد ولدته وهاجا منيراً
كما تلد السموات الشهابا
فكان على سماء البيت نوراً
بضيء جبال مكة والشعابا
أبا الزهراء قد جاوزت قدري
مدحك بيد أن لي انتسابا.

وأعجب ما في تاريخ الرسالات أن يجعل الكافرون أصابعهم في آذانهم، وأن يستغشوا ثيابهم، ويصروا ويستكبروا استكباراً، وهو ملمح موجود منذ أقدم العصور، فقد تجددت المقولة لديهم في اتهام النبوة بالجنون والكذب والسحر، منذ قال عن قوم نوح: ﴿وَقَالُوا بَجْنُونَ وَازْدُجِرَ﴾ القمر: ٩، إلى قول كفار مكة: ﴿وَقَالُوا يَتَّبِعُهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ

هذا النص القرآني المعجز، تلخصها في النقاط التالية:

1- أن القسم ارتبط هنا بالقلم، وسميت السورة به، وهو إحياء بأن هذا النبي المكرم قد ارتبط هديه بالعلم والكتابة واستعمال العقل، فتكرم عليه بالوحي النازل على قلبه، ليكون به على علم ودراية وإدراك لا مجال فيه لسفه، ولا موضع فيه لجنون.

2- أن الأجر الممدود، والجزاء المحمود، والمقام المعلوم، الذي أوتي به النبي الخاتم عليه الصلاة والسلام، ينفي شبهة الجنون، لأن المجنون لا يطالب بعمل، ولا يناط به تكليف، ولا تكتب له حسنة ولا تحسب عليه سيئة، للنص الوارد: "رفع القلم عن ثلاث: عن النائم حتى يستيقظ، وعن المجنون حتى يعقل، وعن الصبي حتى يبلغ"، وذلك لأن العقل مناط التكليف في مختلف الشرائع، يقول ابن عاشر: وكل تكليف بشرط العقل

مع البلوغ بدم أو حمل
3- أن عظمة النبوة فيه، وعطاء المولى له، هو نعمة كبرى أوتيها أصالة، وأعطيتها تكرمة، فقال له: ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ

لَمَجْنُونٌ﴾ الحجر: ٦. وتضمن القرآن لهذا المعنى دليل على تشابه منهج المواجهة المنكرة للدعوة عبر تاريخ الارسل المديد، وكأنهم بهذا الادعاء يشككون في القدرات العقلية للمرسل إليهم بالهداية، وهو أمر يقوض الدعوة من أساسها، ويجعل الكتب المنزلة ضرباً من هذيان الجنون، وخطط الخبل، الذي لا يقوم عليه حكم ولا تعرف به دراية، ولا يركن به إلى منهج في الفكر ولا في الحياة.

ولا غرو أن نجد القرآن وهو كلام الله القديم، يرد عليهم هذه الفرية بقوة ومنطق صائب سديد في مواقع عديدة، فيقول: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ حِنَّةٍ﴾ الأعراف: ١٨٤، ويقول: ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ التكوثر: ٢٢.

وفي مطلع (سورة القلم) أقسم بالقلم وما يسطرون، ليكون جواب القسم منسلكا في هذا المسلك، فقال: ﴿تَوَالَّفَ الْقَائِلُونَ وَمَا يَنْظُرُونَ﴾ ١ ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ ٢ ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ ٣ ﴿وَإِنَّكَ لَقُلٌّ خُلِقَ عَظِيمٌ﴾ القلم: ١ - ٤.

وفي هذا المنحى نلاحظ جملة من اللطائف والحقائق واللمسات الأرية في

يَمْخُجُونَ الْقَلَمُ: ٢، ونحن نعلم أن للنبوة عطاء، وأن الجنون سلب وأخذ، ولا تكون النعمة تامة بسلب الإنسان أهم وسائل إدراكه وهو عقله، لأن العقل وسيلة الفهم، ومرتكز التواصل، وأداة التفضيل التي بها ميز الإنسان عن سائر المخلوقات.

4- أن الخلق الأعظم الذي ميز به النبي ﷺ، يؤكد بعده عن كل مغمز وملمز، يمكن أن يطل قدرته العقلية، أو مكنته الفكرية، أو مسيرته الدعوية، فالمجنون لا تنضبط أفعاله بأخلاق تنسب إليه، ذلك أننا نلاحظ في واقعنا أن المجانين يتصرفون بانفلات تام في القول والفعل، والناس لا يحاسبونهم على ذلك، لأن مؤشر الضبط لديهم معدوم، فهم لا يعون ما يقولون، ولا يدركون عواقب ما به يتصرفون، ولذلك نجد المجنون غالباً منبوذاً في المجتمع، يتهرب الناس منه، خوفاً من شرر قوله، أو ضرر فعله، والنبي الأكرم بعيد عن هذا بعد الأرض عن السماء، ولكن بصائرهم طمست فاتهموه بما ليس فيه.

5- أن قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ القلم: ٤، واقعة في أسلوب عطف جواب قسم تابعة لما قبلها، وقد تضمنت جملة

من المؤكدات، على نحو قولنا: (زيد كريم)، فإذا أردنا أن نوكدّها زدنا لها (إن) المؤكدة، ثم زدنا لام التوكيد، ثم زدنا القسم، فنقول: "والله إن زيدا لكريم"، وهو عين ما هو ظاهر في سياق الآية السالفة، فقد أكدت بالقسم وبأن الناصبة للاسم الرافعة للخبر، وباللام المتزحلق، وبإسمية الجملة المنسوخة، فاجتمعت المؤكدات لتدل على أن المعنى الوارد هو في قمة التأكيد واليقين.

6- أن الشهادة باستقامة الشخص، إنما تكون بمعرفة ظاهره دون باطنه، لأن الحكم على الظاهر هو مبدأ تتعامل به نحن البشر، يحكم أننا نحكم على ما نعلم، وقد يكون للمحكوم له بالخلق والاستقامة باطن لا نعرفه، إذ ربما خلا بنفسه ففعل مالا يليق بخشيته الظاهرة، فيكون الحكم بهذا المفهوم ناقصاً وقاصراً، لأنه حكم من بشر على بشر.

أما حكم الله فهو حكم من يعلم السرّ وأخفى، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور فهو العليم الحكيم، الذي لا يعزب عن علمه من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولذلك حينما حكم على

الذي يقول فيما يشبه هذا المعنى:

يا مصطفى من قبل خلق آدم

والكون لم تفتح له أغلاق

أيروم مخلوق ثناءك بعدما

أثنى على أخلاقك الخلاق

7- إن عظمة الخلق جاءت من علو القدر

عند الله، وكونه الرسول الخاتم الذي يحمل

رسالة الخلود والبقاء، فكان من المنطقي أن

يكون حاملاً لمعاني الكمال السامي، الذي

يؤهله للقدرة الدائمة للناس أجمعين،

وبدون انقطاع إلى يوم القيامة، وهو ما

جعل الله يجمع له من الأخلاق والشمائل

والفضائل ما تفرق في سابقه من الرسل،

وقد ذكر كل بخاصيته، فقال تعالى:

﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾

مريم: ٤١، وقال: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَى

إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ مريم: ٥١،

وقال: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ

صَادِقًا وَاعْتَدَ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ مريم: ٥٤،

وقال: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ

صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ مريم: ٥٦، ثم جمعهم جميعاً

في توصيف بليغ بالعبودية والإنابة إلى الله،

فقال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ

ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ

عظمة الخلق في نبيه، كان حكمه محكما

صائبا لا شك فيه، ناهيك عما سماه

العلماء حجاب الزمن، الذي ندرك فيه

الحاضر، ويختفي عنا الماضي أحيانا،

والمستقبل قطعاً، إذ نعلم من حال المحكوم

عليه ما نراه ونعيشه، وربما جهلنا ماضيه

الفارط، كما يغيب عنا مصيره المستقبلي،

ومآله الآتي، فيكون حكمنا منحصرًا في

المدرك، فإذا حكمنا على ما لا نعرف،

كان الحكم مغامرة غير مضمونة التحقق،

ولا مؤكدة الانطباق على ما نظن ونحكم

به، أما الله جلّ جلاله فهو العليم بما فات

وما هو آت، يعلم ما كان وما يكون،

وما لا يكون لو كان كيف كان يكون،

فهو إذا حكم على النبي بأنه ذو خلق

عظيم، فإن حكمه يستغرق الزمان ماضياً

وحاضراً ومستقبلاً، ولذلك فحكمه حقٌّ

لا ريب فيه، ولئن رجعنا إلى قاعدة توثيق

الشهادة، وارتباطها بثبوت الشاهد، فإن

عدالة الشاهد كلما زادت، انعكس ذلك

على وثوق الشهادة وقوتها، فإذا كان

الشاهد له هو الله العليّ جلّ جلاله، فإن

الشهادة آتد تكون في قمة الوثوق، وهو

ما يزيد النصّ الأنف أصالة وعمقا.

ورحم الله لسان الدين بن الخطيب

وَأَمْرَهُ بَلْ وَمَنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾ مريم: ٥٨، فأصبح النبي الموصوف بكمال الخلق جامعاً لمعاني العبادة الرضية، والسيرة النقية، والمناقب الفاضلة، والمآثر الماثلة، والمواقف الرائدة، والمبادرات الشاهدة، التي جعلت منه نموذجاً للأخلاق لا يضاهي ولا ينافس.

وهو ما جعله يوصف بأنه (على خلق عظيم)، وحرف (على) يفيد الاستعلاء، فكانه حاز من المكنة ما يجعله في رقي يسمو بالخلق ويسمو فوقه، في كمال لا يتأتى للبشر، ورحم الله أحمد شوقي الذي خاطبه قائلاً:

وإذا خطبت فللمنابر هزة

تعرو الندي وللقلوب بكاء

وإذا عفوت فقادر ومقدر

لا يستهين بعفوك الجهلاء

وإذا أخذت العهد أو أعطيته

فجميع عهدك ذمة ووفاء

وإذا غضبت فإنما هي غضبة

للحق، لا ضغن ولا بغضاء

وإذا حكمت فلا ارتياب كأنما

جاء الخصوم من السماء قضاء

وإذا حميت الماء لم يورد ولو

أن القياصر والملوك ظماء

وإذا رحمت فانت أم أو أب

هذان في الدنيا هما الرحماء

ونحن نوعز هذه العظمة في خلقه

إلى قوة معنوية مكنية، أوتي بها الموهبة

الرضية، والهمة العلية، والسريرة النقية،

والعلوم الزكية، وعبر عنها القرآن، بقوله

تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ

فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ النساء: ١١٣،

وقوة عملية تطبيقية تقابل القوة النظرية

المعنوية، تمثلت في خلقه الكريم، وطبعه

المستقيم، وأسوته الحسنة وقدوته الظاهرة،

وأقواله وإقراراته الباهرة، وهي التي عبر

عنها القرآن الكريم بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ

عَظِيمٍ﴾ القلم: ٤.

وإذا جمعنا قوة القوة النظرية إلى

القوة التطبيقية، كان ذلك تأكيداً لعظمة

الخلق فيه، مما يستحق ثناء المولى، لأنه لا

أحد غيره يستطيع أن يعرف مدى ذلك أو

يحصيه، وفي هذا يقول الشاعر:

ليس يحصي فضله إلا الذي

هو أحصى كل شيء عدداً

ولعل هذا الإقرار العلوي، هو الذي

جعل البشر من الأقارب والأباعد يلهجون

بذكره، ويجمعون على فضله ومقامه، لأنه

النبي العظيم محمد"، وكذلك الروائي الروسي ليوتو تولستوي الذي يقول: "أنا واحد من المبهورين بالنبي محمد الذي اختاره الله الواحد، لتكون رسالته آخر الرسائل، ويكون هو أيضا آخر الأنبياء"، وكذلك توماس كارليل الذي يقول: "إنما محمد شهاب قد أضاء العالم، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء".

وهذا الفيلسوف أوجست كونت يقول: "كل التعاليم والمبادئ التي جاء بها النبي محمد ودراسة سيرته تجعلك تتأكد تماما أن هذا الرجل أعظم من أرسلته السماء لهداية الإنسان، لكي يكون إنسانا سويا، وكم تمنيت كثيرا أن أكون أحد أفراد هذه الأمواج الساجدة لربها".

ولقد أكدت دائرة المعارف البريطانية بصريح العبارة أن محمدا ﷺ، أظهر الشخصيات الدينية وأكثرها نجاحا وتوفيقا.

وهذا غيظ من فيض ما كتب وأثر ودبح من أقوال أهل الغرب أنفسهم، وخاصة من العلماء والباحثين وأهل الرأي والحصافة في أوروبا، وهو يدل دلالة قاطعة على أن هداية النبوة نور يسري، وحكمة

كما قال الإمام علي كرم الله وجهه: «كان أصدق الناس لهجة، وأحسن الناس عشرة، وأوفاهم ذمة، وألينهم عريكة، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه عشرة أحبه، يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله».

وهناك إقرارات من علماء الغرب المشهورين، من أصحاب الأقلام المذكورة، والمقامات الماثورة، والمكانات المشهورة، يؤكد ملامح العظمة حينما يكون الإنصاف حكما في المسألة، ومرجعاً في الموازنة والشهادة بما هو واقع من غير تحامل ولا غلو في الكراهية، وإطلاق الأحكام المسبقة دون استناد إلى واقع ولا إلى تاريخ. فهذا (جورج برنارد شو) يقول: لقد قرأت حياة رسول الإسلام جيدا مرات ومرات، فلم أجد فيها إلا الخلق كما ينبغي أن يكون، وكم تمنيت أن يكون الإسلام هو سبيل العالم.

وهذا عالم اللاهوت السويسري "هانز كونج" يقول: "محمد نبي حقيقي بمعنى الكلمة، ولا يمكننا إنكار أن محمدا هو المرشد والقائد إلى طريق النجاة".

وهذا الفيلسوف والشاعر الألماني الكبير جوته يقول: "بحثت في التاريخ عن مثل أعلى لهذا الإنسان فوجدته في

تتألق، لا يطمسها وهم، ولا تحجبها ظلمة، ولا تؤثر فيها الأقاويل والأباطيل.

ونحن نعيش هذه الذكرى بمشاعرنا المتألقة، وأحاسيسنا المتدفقة، نتألم لذلك التطاول الأحمق، على مقام النبوة الأرقى ونورها المشرق، ونؤكد ما يلي:

1- أن النبي المصطفى ﷺ، رمز للكمال الأرقى الذي ملأ الدنيا بالفضل والخير، وأن دعاوى الباطل المتأججة في هذا الزمان المنفلت لا تؤثر إطلاقاً في كماله وعلو شأنه، ولو تحول الناس جميعاً إلى كناسين يريدون إثارة الغبار على مقام النبوة السامي باعتباره سماء ما طاولتها سماء، فلن تنحجب السماء، بل تبقى صفحتها ناصعة رائعة، ويرتد الغبار على رؤوس أولئك المعاندين ليؤدبهم بالشعث والاختناق.

2- أن حفظ النبي ﷺ مرتبط بحفظ القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وسوف تترد المحاولات الآثمة للمساس به مقهورة مدحورة، وهو أمرٌ شهد به تاريخ الإرسال منذ قديم الآماد، ويكفي أن الله قد طمأن فؤاد نبيه، وثبت قلبه الشريف بأقاصيص النبوات الفارطة

التي ذقت مرارة التكذيب، واصطلت بنيران البهتان، وتأذت من سهام القذف والتشهير، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولًا مِنْ قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلَى مَا كَذَّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَنَّهُمْ نَصَرْنَا﴾ الأنعام: ٣٤.

3- أن ما نمدحه به مهما كثر وامتد لا يساوي بالنسبة إلى عظمته إلا قطرة من بحر أوثانية من دهر، لأنه من كلمات الله، وكلمات الله تعالى لا تنفذ أبداً، وفي ذلك يقول المولى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نَفِدَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جَنَّا بَيْنَ يَدَيْهِ مِدَادًا﴾ الكهف: ١٠٩، وفي هذا يقول ابن جزى الكلبي المالكي:

أروم امتداح المصطفى فيردني
قصوري عن إدراك تلك المناقب
فلو أن كل العالمين تجمعوا
على مدحه لم يبلغوا بعض واجب
فأمسكت عنه خشية وتهيباً

وخوفاً وإعظاماً لأرفع جانب
4- أن النصرة للمصطفى أمر واجب على جميع الأمة برمتها دون استثناء، ولكن النصرة الحقيقية إنما تكون في القراءة الواعية للسيرة العطرة، والفهم المتبصر لللسنة النبوية المشرفة، واعتماد ذلك

الأنفس، والشوق إليه في الحنايا، والتعلق به في القلوب، والحنين إليه في الأرواح، لأنه أمل الأمة الأرقى، ونموذجها الأنقى، ورمزها الأتقى، مهما فعل الشائنون، وتآمر الأفاكون والمبطلون ونحن نقول لكلّ حبّ أنوف، وكلّ مشتاق بالنبي شغوف.

ألا يا محب المصطفى زد صباية
وضمخ لسان الذكر منه طيبة
ولا تعباً بالمبطلين فائماً
علامة حبّ الله حبّ حبيبه
وأخيراً نسأل الله أن يوفق أولي الأمر لما
ينفع البلاد والعباد، وأن يؤول بالأمة إلى
خير حال، وأجمل مآل، إنه ولي ذلك
والقادر عليه.

ملاحظة: للموضوع هوامش

التراث الزاخر، وسيلة للقذوة، ومسلكاً للأسوة، ومناطاً لتصحيح مسار الحياة، وأحوال المجتمع، وأحسن ما يقدم لمقام النبوة في هذا العصر، أن تعمل الشعوب على التقدم والإفلاق الحضاري المتوخى لضمان وجودها في هذا العالم الموار بالصراعات والتحديات.

5- أن الجزائر يؤلمها ما يحصل في هذه الأونة الأخيرة من جرأة على النبوة، ومحاولات للمساس بقداستها، وهي تعلم يقيناً بأن ذلك من تافه الفعل وسفيه القول، وأن الطفل الغرير لو رمى بالحجر الصغير في البحر الكبير، لما كان لفعله معنى، لأن البحر أوسع وأكبر من أن تظاله الحماقات أو السفاهات.

والشعب الجزائري برمته يعبر عن تعلقه بالنبي الأكرم ﷺ وسيبقى حبه في

